

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إضاءات حول مقال د/سيد أحمد الناصري "تأملات في قضايا ومشكلات تاريخ الجزيرة العربية في عصور ما قبل الإسلام" وكتاب إليوس موسيل "صحراء شمالي الجزيرة العربية".

أ / أمل مطر العصيمي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد:

تحدث د. سيد الناصري في مقاله عن أخطاء المستشرقين الذين كتبوا في تاريخ الجزيرة العربية قبل الإسلام في

النقاط التالية:

- ان منهم من هو متأثر بجرفية نصوص التوراة خاصة بتاريخ العرب القدماء وحتى يحافظون على هذه الحرفية نجد هم يحولون مجرى الأحداث حتى يتماشى مع تفسير نصوص التوراة.
مثل : مرحلة المؤرخين الذين كانوا أسرى لنصوص الإلياذة حيث فسروا المكتشفات الأثرية في ضوء آياتها على نحو ما فعل سليمان .
- قليل من يرجع من المستشرقين للقرآن الكريم الذي هو أدق وأكثر معرفة بأصول العرب في جاهليتهم الأولى والثانية , فهو مصدر رباني لم يتعرض لأقلام البشر كما حدث في التوراة والانجيل التي حرفت , قال تعالى عن القران الكريم: " أنا نزلنا الذكر وأنا له لحافظون . "
- كذلك قليل ما يرجع المستشرقون إلى كتب التراث العربي أو كنوز الشعر العربي في الجاهلية .

• فضل المستشرقون نصوص المصادر الإغريقية والرومانية ، بالرغم من إعترافنا بإهميتها الا أنها هي كانت من الدراسات الحديثة لم تفهم تراث الشرق الذي كان في نظرها غريباً وإسطورياً، وهذا ما أتضح من كتابات هيردوت عن جزيرة العرب أو ما كتب لأهداف سياسية كما هو الحال في النصوص الرومانية.

• إن عقدت الغرب ونظرة الإستعلاء على الشرق جعلته يتحدث عن الجزيرة العربية من وجهة نظره لذا يجب أن لا تؤمن بصحتها إيماناً كامل

نستنج من ذلك إختلاف المصادر التي يستقي منها المسشرقين في دراسة تاريخ العرب قبل الإسلام عن المصادر التي أوصى د/ سيد الناصري الباحثين بها على ان تكون منبج عربي لدراسة تاريخ الجزيرة قبل الإسلام وهي حسب الأولوية على الترتيب الآتي:

- القرآن الكريم ، قال تعالى : "أنا نزلنا القرآن وانا له لحافظون "
- الحديث الشريف حديث خاتم الأنبياء سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام.
- النقوش والكتابات والزخرفة والمكتشفات الإثرية من التماثيل و الرقم الطيني ، والعملية وأدوات طبخ، وأدوات زينة . الخ

• التوراة والإنجيل مع التدقيق والتحريض ومقارنتها بما يتفق بما جاء به القرآن الكريم من أخبار الماضين وترك ما يتنافى منها مع القرآن الكريم لأنها كتب دينية محرفة من البشر.

• نصوص كتاب الإغريق والرومان.

• القصائد الشعرية (الشعر ملحمة العرب).

• المباني المعمارية (معابد - دور - ومقابر).

أورد د. سيد الناصري أمثلة على تجاوزات المستشرقين فعلى سبيل المثال :

• ماورد في كتاب موتجري عن جزيرة العرب في التوراة , كان أصل مجموعة مقالات عام 1930م , أصدرت كتاب عام 1933م , وأعيد نشرها عام 1969م , بعد أن كتب له جون فان بيك مرفق لتصحيح أخطائه , ورقص الإشتباك بين ماكتبه المستشرقون الأوربيون واليهود في ضوء التوراة , وبين الحقائق الجديدة التي كشفت بالتنقيب والمسح الأثري) مثل : عام 1969 م خاصة بالمملكة بموقع الفاو (لكن الأستاذ جون لم يستطع فض الإشتباك.

نلاحظ ان كتاب موتجري مر عليه حوالي 60 عاماً , لذلك يجب على العقل العربي ان يستيقظ من سباته ويحمر تاريخ أشرف البقاع من بلاده من إحتكار مفسري التوراة وهيمنة العقل الأوربي .

بالمقال يورد كاتب المقال د . سيد الناصري مثال للجانب الايجابي الذي شهدته الجزيرة العربية من نهضة بعد الحرب العالمية , حيث حملت جامعاتها رسالة البحث عن تاريخها العريق وإزاحة تلال الرمال عنه , وقيامها لتنقيب عن آثارها بسواعد أبنائها . . فكشفت عن مصادر جديدة وصحت مفاهيم تقليدية عميقة , أسقلت عن التبعية لتاريخ بني إسرائيل القديم الذي كان الهدف الاول لكثير من المستشرقين , وإعادة النظر في آراء مونتجري .

وأورد د . سيد الناصري مثال حول رؤية الباحث المسلم ورؤية من خلال القرآن الكريم الذي حفظه الله سبحانه وتعالى لنا , ورؤية المستشرقون لها من خلال التوراة والانجيل المحرف , حول زيارة بلقيس ملكة سبأ لسيدنا سليمان عليه السلام وأنها لعلاقات تجارية بينهما , بينما نجد إن القرآن الكريم يضع بعداً جديداً في ذلك وهو الصراع الديني بين وثنية الجنوب ووحداية الخالق في الشمال , أما أ / بيك يقول بوجود ارتباط تجاري بين فلسطين القديمة وسبأ , مستدل ان جيمس وجد مباخر عربية جنوبية في تل حميه للضفة الغربية لنهر الاردن .

نقول ان المباخر وجدت بكل مكان وليست محصورة بمكان بعينه في الجزيرة العربية , وأنه بالمقابل لم توجد مواد عبرية بجنوب الجزيرة العربية , وهذا ليس دليل يستند إليه .

أن الجزيرة العربية شهدت حضارات بشمالها وجنوبها وشرقها وغربها، وسواحلها الجنوبية الشرقية عمان (ماجان) (ميلوخا) سواحل الخليج التي كانت تحت ظل حضارة بلاد الرافدين حتى سقوط آشور ثم تحولت لنفوذ الفرس.

وما حضارة جنوب الجزيرة العربية الا كمثل لما اشتهرت به من انظمة الري وبناء السدود للحفاظ على مياه الامطار (وادي بيجان) بالقرب من حجر بن حميد وغيره كما اشتهرت بالمنتمات الزخرفية البارزة (الدائيل) وفتحات الهواء والنوافذ ذات المشربيات مثل معبدالمقه في مأرب الشهير بمحرم بلقيس. وغير ذلك الكثير.

فكانت الحضارات العربية في الجزيرة العربية منذ القدم وهنا دلالة كثيرة على تطوراتها عبر العصور من مصادرنا المختلفة واولها القران الكريم واخرها عمليات التنقيب والبحث في الجزيرة العربية على يد ابناءها أنها لدلالة ان للجزيرة العربية عمق حضاري عربي قديم.

يجب على الباحث عدم الاعتماد الكلي على ما يكتبه المستشرقون دون تمحيص وتدقيق في مجوهم وفي دراستهم خاصة لتاريخ الجزيرة العربية قبل الاسلام مثل : الويس موسيل الذي كانت كتابته عن دراسة تاريخ الجزيرة قبل الاسلام تعتمد اعتماداً كلياً على التوراة والانجيل ويحاول يحول كتابته على مفسري نصوصها . ونحن بذلك لا ننكر جهودهم في البحث والتنقيب والمسح الأثري والعثور على مكتشفات أثرية لتلك الحقب البعيدة ، ولكن نوجه الباحث في التاريخ القديم بالأخذ بالحذر الشديد في النقل والكتابة من مصادرهم التي

يعتمدونها، لذلك كانت آراء وكتابات د. سيد الناصري رحمه الله جميعها سديدة, وخاصة فيما يتعلق بالمصادر التي يجب على المؤرخ في التاريخ القديم للجزيرة العربية الاعتماد عليها حسب اولويتها واهميتها.

هذا والحمد لله أولاً وأخراً، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.